الأهرام

المصدر : الحياه

التاريخ : ١٧ اكتوبر ٢٠٠١

وقائع سنوات الجهاد: رحلة "الأفغان العرب" من كل مكان الى واشنطن ونيويورك (١ من ٥)

في عصر السادات عادت الروح إلى "الإخوان" وولدت الحركات المتشددة

لم تكن رحلة «الأفغان العرب» الطويلة والدامية شاقة ومضنية بالنسبة إليهم فحسب بل أصابت «شظاياهم» دولاً، كمصر والجزائر، وأحرقت نارهم قوى عظمى كالاتحاد السوفياتي السابق والولايات المتحدة.

سببت الخطأ الكبير الذي شاركت فيه أنظمة وحكومات وأجهزة استخبارات وجماعات وتنظيمات وأشخاص ورجال دين وعملاء جروحاً بالغة. وكان الثمن باهظاً، ليس على المستوى العسكري والسياسي فحسب، بل على مستويات اقتصادية واجتماعية ونفسية وعقائدية. ولم ينج الفكر الإسلامي من الخسائر فالمعركة لم تكن ضد العلمانية وحدها، بل طاولت كل من اعتبرهم «الأفغان العرب» طغاة وكفاراً.

ويبدو أن الرحلة لم تستنفد أغراضها بعد، فالهجمات في نيويورك وواشنطن ربما لن تكون الأخيرة والحملة الأميركية ربما تكون خطأ كبيراً آخر يضاف إلى سلسلة الأخطاء التي وقعت فيها الدولة العظمى ويدفع ثمنها الجميع الآن. فليس سراً ان اعتقاداً ساد بعدما وجهت أميركا صواريخها إلى السودان وأفغانستان عقب تفجير سفارتيها في نيروبي ودار السلام في آب (أغسطس) ١٩٩٨ بأن «الأفغان العرب» تهاووا وضعفوا وفقدوا قدرتهم، وتمزقت شبكتهم، لكنهم عادوا بعدها الى الأميركيين من البحر ليفجروا المدمرة كول، ثم جواً ليضربوا رمزي الحضارة (المركز التجاري العالمي) والقوة (البنتاغون).

بدأت رحلة «الأفغان العرب» بالأفكار وانتهت في الجغرافيا، وجالت عقولهم بين الآراء الفقهية لابن تيمية وابو الأعلى المودودي وسيد قطب ومحمد عبدالسلام فرج وعمر عبدالرحمن وأيمن الظواهري، وأخيراً اسامة بن لادن. خلال هذه المرحلة كانوا يزرعون في أفغانستان التي حطوا فيها رحالهم تاركين مجتمعاتهم ليرتدوا الزي الأفغاني، ويعيشوا مجدداً حياة البادية، ومنها انطلقوا إلى شتى بقاع الأرض فوقع بعضهم في قبضة السلطات في بلادهم حين عادوا لينفذوا ما أُمروا به واضطلع آخرون بأدوار لا تقل خطورة عن التدريب على استخدام الأسلحة والمتفجرات، من تزوير الأوراق الثبوتية وبطاقات الهوية وجوازات السفر وحتى التدريب على الطيران.

وحين ظهر اسم «العائدون من افغانستان» للمرة الأولى في مصر عام ١٩٩٢، عندما ألقت السلطات القبض على عدد منهم واحالتهم على محكمة عسكرية قضت بإعدام عشرة منهم، لم يكن أحد يتصور أن «الأفغان العرب» سيعودون مجدداً، ولكن من أماكن اخرى. وبعد سنين قليلة ظهر «العائدون من السودان» و«العائدون من جنوب افريقيا» و«العائدون من الكويت» و«العائدون من ألبانيا» و«العائدون من كل مكان».

«الحياة» تفتح ملف «الخطأ الكبير» الذي وقع فيه الجميع وتنقل شهادات من تابع الرحلة وبعض من شارك فيها وصار من ضحاياها. وتعرض الظروف التي جعلت تلك الدولة الفقيرة مسرحاً لوقائع لم يكن أحد يتصور ان تحدث يوماً، بعد ما تحولت إلى أرض خصبة لزرع التطرف والكره والعنف.

القاهرة - محمد صلاح

■ ما ان توفي الرئيس جمال عبدالناصر في ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ارتفعت معنويات الإسلاميين في مصر عموماً وقادة وعناصر جماعة «الاخوان المسلمين» خصوصاً. فمئات وربما آلاف من هؤلاء ذاقوا في العهد الناصري صنوف العذاب والمطاردة. اما الاسلاميون الراديكاليون فحتى ذلك الوقت، وبعدها بفترة قصيرة لم يكن أحد في الاجهزة الرسمية على علم بنشاطهم الذي كان بعيداً عن الاضواء. وعندما كانت خلايا «الجهاد» تنتشر سراً في قرى واحياء مصرية في هدوء وصمت. رحب «الاخوان» بانتخاب أنور السادات رئيساً لمصر فتاريخهم معه لم يكن يحفل بكثير من الصراعات، وهو كان تقى حسن البنا للمرة الاولى مبكراً عام ١٩٤.. وحضر لاحقاً دروساً كان يلقيها في المركز الرئيسي لـ «الإخوان المسلمين». كان السادات مشهوراً بالورع والتقوى وكثيراً ما يستغل عبدالناصر ذلك الأمر لإبراز الطابع الإسلامي للدولة، واختار السادات ليكون سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامي الذي تأسس عام ١٩٦٥ لتعبئة الراي العام الإسلامي في خارج لمصلحة مصر.

رفع السادات شعار «دولة العلم والإيمان» أصدر تعليماته الى التلفزيون والاذاعة لبث ان الصلوات الخمس يومياً واجرى تعديلاً دستورياً ينص على أن «الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع». وقبلها كان يطلق المعتقلين من «الإخوان» بعدما ظلوا لسنوات طويلة قابعين في السجون. واطلقت وسائل الإعلام عليه لقب «الرئيس المؤمن» بعدما زادت شعبيته في حرب تشرين الاول (اكتوبر). ولم تكن لقاءات السادات مع مرشد «الإخوان» عمر التلمساني سراً. اذ كان يعلم مدى الشعبية التي يتمتع بها «الإخوان»، خصوصاً في الاوساط الشعبية، لذلك سمح لهم بالنشاط من دون ان يمنحهم فرصة الحصول على رخصة حزب او منبر سياسي، ورضوا بذلك.

ويبدو ان حرص السادات على استمرار علاقاته الطيبة مع «الإخوان» كان سبباً في عدم إقدامه على اتخاذ إجراءات ضد الإسلاميين الراديكاليين حين ظهر اول فصيل منهم عام ١٩٧٣ ولم يكن يعلم أن نهايته ستكون على ايدي فصيل آخر يعتنق عناصره الافكار نفسها. وأنه سيحصد ما زرعه.

بينما كان السادات يسعى إلى احتواء «الإخوان» كان الإسلاميون المتشددون ينتهزون الفرصة ليسدوا فراغات لم يكن لـ«الإخوان» مقدرة على ملئها بفعل سنوات السجن الطويلة التي أصابت حركة التنظيم بالضمور. واستغل تنظيم «الجماعة الإسلامية» ذلك المناخ، فاسس قواعد في جامعة القاهرة اما مركزه فظل دائماً في محافظات الصعيد عموماً، ومحافظتي المنيا

إثراء المعارف الرقمية
www.ethraadl.com

الأهرام

واسيوط خصوصاً غير أن التنظيم الرئيسي الآخر المعروف في مصر وهو جماعة «الجهاد» الذي يقوده حالياً الدكتور أيمن الظواهري فيمكن اعتباره بوتقة انصهرت داخلها جماعات وتنظيمات «جهادية» أخرى نشأ بعضها عشوائياً في بعض مناطق القاهرة ومحافظات الوجه البحري وكان بعضها الآخر امتداداً لتنظيمات ظلت تتعرض لضربات امنية منذ تاسيسها في الستينات من دون ان تقدم الدولة في عهد السادات على شل حركتها نهائياً، لكي لا يخسر الرئيس تعاطف الإسلاميين عموماً و«الإخوان» خصوصاً.

واللافت أن اسم «الجماعة الإسلامية» ظهر في السبعينات عنواناً للتيار الإسلامي غير المنظم والمستقل عن كل التنظيمات وكان اسمها «الجماعة الدينية» التي ركّزت نشاطها في الجامعات. ثم غيّر الشباب المتدين من اعضاء «الجماعة» في ذلك الوقت الاسم إلى «الجماعة الإسلامية» وكان من رموز هؤلاء عبدالمنعم ابو الفتوح وعصام العريان (جامعة القاهرة) وابراهيم الزعفراني وخالد داود (جامعة الاسكندرية) والسيد عبدالستار وأحمد الدغيدي (جامعة عين شمس) وخيرت الشاطر (جامعة المنصورة) واسامة عبدالعظيم وعبدالله سعد (جامعة الأزهر) وانور شحاتة (جامعة طنطا) ومحيي الدين عيسى (جامعة المنيا) واسامة حافظ وصلاح هاشم (جامعة اسيوط). لكن تياراً بدا ينمو في جامعات الصعيد خصوصاً في المنيا واسيوط يدعو إلى التغيير بالقوة ابرم عناصره تحالفاً مع تنظيم «الجهاد» عام ١٩٧٩ بضغط من كرم زهدي وناجح إبراهيم وعاصم عبدالماجد واسامة حافظ وعاصم دربالة وفؤاد الدواليبي وطلعت فؤاد قاسم وحمدي عبدالرحمن... ورد الآخرون بالانضمام إلى جماعة «الإخوان المسلمين».

وليس سراً أن افكار ومبادئ الزعيم الإخواني البارز سيد قطب التي تبلورت في كتابه «معالم على الطريق» عام ١٩٥٧ احد المرتكزات الأساسية التي قامت عليها كل الحركات الإسلامية الراديكالية في وقت لاحق، وعلى رغم إعدام قطب في منتصف الستينات إلا أن كتابه ظل مرجعاً للإسلاميين الراديكاليين الذين يرفعون راية «الجهاد» ويكفّرون السلطة والحاكم. وعندما كان «شباب الإخوان» داخل السجون في العهد الناصري يلتفون حول مرشدهم حسن الهضيبي للتصدي «للمتطرفين الجدد» الذين يطالبون بحمل السلاح ومقاومة السلطة تسلل كتاب قطب إلى خارج السجن وكان سبباً في تكوين اول فصيل «جهادي» في القاهرة بزعامة اسماعيل طنطاوي وضم أيضاً نبيل البرعي ويحيى هاشم ومحمد عبدالعزيز الشرقاوي وعلاء مصطفى وايمن الظواهري الذي كان صغير السن. وفي وقت لاحق خرج احد افراد «الإخوان» وأسس «تنظيماً جهادياً» آخر ذا نزعة تكفيرية ذاع صيته في ما بعد، إذ انشأ على اسماعيل وهو شقيق عبدالفتاح اسماعيل الذي اعدم مع سيد قطب «جماعة المسلمين» التي عرفت اعلامياً باسم «التكفير والهجرة»، وتمكن من ضم حوالى ١٥ شخصاً من شباب الإخوان غالبيتهم من القاهرة والمنيا واسيوط، كان بينهم شكري مصطفى الذي تزعم التنظيم في فترة لاحقة.

كفّر هذا التنظيم المجتمع كله حكاماً ومحكومين، ورأى أن إقامة «المجتمع الإسلامي» تتم على مرحلتين: الأولى تقوم على الهجرة إلى مكان بعيد لإقامة «المجتمع الطاهر» والثانية هي «مرحلة التمكين» وتقوم على العودة ومحاربة حكام البلاد لإقامة الدولة الإسلامية، غير أن اسماعيل ما لبث أن انقلب على افكاره وتنظيمه العام ١٩٦٩ وأعلن عودته الى الجماعة الأم «الإخوان المسلمين» وعلى الفور تولى شكري مصطفى الزعامة وكان دخل السجن بعدما ضبط وهو يوزع منشورات مناهضة للسلطة. وخرج من السجن عام ١٩٧١ فالتحق به عشرات قاطعوا العمل في ادارات الدولة او الدراسة في الجامعة.

ورداً على اعتقال الشرطة ١٤ من اعضاء التنظيم اقدم شكري وبعض اتباعه في ٣ تموز (يوليو) ١٩٧٧ على خطف وزير الأوقاف حينذاك الشيخ حسين الذهبي واحتجزوه رهينة، محاولين ابتزاز الحكومة، فقدموا مطالب شملت الافراج عن المعتقلين ودفع فدية مالية مقابل اطلاقه. فرفضت السلطة الرضوخ، ونفّذ التنظيم تهديده بقتل الشيخ الذهبي في ٧ تموز (يوليو) ولم تمر سوى اسابيع قليلة حتى كان شكري مصطفى واربعة من زملائه معلقين على حبال المشانق، كما حكم على الباقين بالسجن فترات متفاوتة.

اكتفى السادات وقتها بالإجراء القضائي ولم يلجأ إلى إجراءات قمعية اضافية تماماً كما فعل قبلها بسنوات حين ظهر في بداية السبعينات الأردني صالح سريه الذي كان فرّ من الأردن إلى العراق ومنها إلى مصر عقب احداث ايلول (سبتمبر) وكوّن تنظيماً «جهادياً» آخر كان من أبرز اعضائه حسن الهلاوي وكارم الاناضولي. وحاول التنظيم في ١٩٧٤ احتلال مقر الكلية الفنية العسكرية بهدف الحصول على السلاح لاستخدامه في الهجوم على مقر اللجنة المركزية حيث كان السادات يعقد اجتماعاً مع قادة الدولة، ثم التوجه إلى مقر الإذاعة والتلفزيون لإعلان الدولة الإسلامية، وفقاً لما كانت تقتضيه الخطة.

لكن المحاولة فشلت والقي القبض على اعضاء التنظيم واعدم سريه عام ١٩٧٥ وحكم على باقي الأعضاء بالسجن.

ويصعب حصر المجموعات «الجهادية» التي تكونت لاحقاً، فإلى جانب تنظيم يحيى هاشم واسماعيل طنطاوي وأيمن الظواهري تكونت سراً تنظيمات أخرى لعل أهمها التنظيم الذي تزعمه المهندس محمد عبدالسلام فرج صاحب كتاب «الفريضة الغائبة» وينتقد فيه بشدة معظم المجموعات الدينية الأخرى كونها «تغيب فريضة الجهاد من مبادئها»، وفي مسجد الفتح في حي «امبابة» التقى فرج عبود الزمر وطارق الزمر

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ونبيل المغربي الذين كانوا نواة أشهر تنظيم حمل اسم «الجهاد» وجال فرج على محافظات الوجه البحري ومناطق القاهرة والتقى قادة «الجماعات الجهادية» الصغيرة التي نشأت فيها وتمكن من توحيدها تحت لافتة «تنظيم الجهاد». حدث كل ذلك والسادات واجهزة الأمن مهتمة بالدرجة الأولى بمتابعة نشاط الناصريين واليساريين الذين اعتبرهم السادات عدوه الأول.

وعلى الجانب الآخر كان تنظيم «الجماعة الإسلامية» ينتشر في هدوء بين أوساط الطلاب في الجامعات المصرية خصوصاً في محافظات الصعيد ويرجح أن التنظيم نشأ اساساً في محافظة المنيا على ايدي اسامة حافظ وصلاح هاشم ثم انتشر في المحافظات الاخرى. وفي الصعيد انضم الى التنظيم طلعت فؤاد قاسم وكرم زهدي وعاصم عبدالماجد وناجح ابراهيم وعصام دربالة، واثمر لقاء جمع بين فرج وزهدي في بداية ١٩٨٠ عن اتفاق تم بمقتضاه دمج «تنظيم الجهاد» مع «الجماعة الإسلامية» في تنظيم واحد واختير الدكتور عمر عبدالرحمن اميراً للتنظيم الجديد وانتقل أعضاء «مجلس شورى التنظيم» إلى الفيوم ليبايعوا عبدالرحمن.

وفيما كانت تلك الأحداث تدور كان «الإخوان» يبذلون جهودهم للتاقلم مع الاوضاع الجديدة ومعالجة جروح الماضي. كما ان سنين السجن الطويلة جعلت من كانوا شباباً في بداية الخمسينات صاروا شيوخاً في بداية التسعينات، وعلاوة على ذلك فإن رجال «النظام الخاص» وهو التعبير الذي يطلق على اعضاء التنظيم العسكري السري لـ«الاخوان» الذي تاسس في الاربعينات تمكنوا خلال فترة العزلة من بسط سيطرتهم على الجماعة وعلى رغم محاولة المرشد حسن الهضيبي استغلال مناخ الحرية الجديد في لملمة الشتات وإعادة النظام الاداري الى الجماعة الى وضعه الطبيعي من خلال تشكيل لجان لحصر اسماء «الاخوان» في مصر وباقي الاقطار العربية بعدما تبددت الاوراق التي كانت تحتوي على تلك الاسماء. إلا أن وفاة الهضيبي في ١١ آب (اغسطس) ١٩٧٣ مثلت المحطة الأخيرة في اي مقاومة من داخل الجماعة لرجال «النظام الخاص» الذين فرضوا توجهاتهم تماماً واجبروا «الاخوان» على عدم الاعلان عن خليفة للهضيبي في منصب المرشد، وفرضوا شخصاً لم يعلنوا عن اسمه «مرشداً سرياً» تحت حجة الظروف الامنية وحفاظاً على وحدة الصف، وظل «الإخوان» حوالى ثلاث سنوات من دون مرشد معروف، وصار رجال «النظام الخاص» بديلاً عن الهيئة التاسيسية للتنظيم، وكذلك مكتب الارشاد. وفي وقت لاحق تم تشكيل المكتب من دون اتباع القواعد ايضاً فضم في غالبيته رموز «النظام الخاص» الا ان التذمر الذي ساد اوساط «الاخوان» اعتراضاً على المرشد السري، اجبر المهيمنين على مقدرات الامور على عقد مؤتمر في القاهرة في نهاية ١٩٧٦ حضره عمر التلمساني تمهيداً لانهاء بدعة المرشد السري، وبدا ان طبيعة التلمساني وهدوءه وحرصه على البعد عن الخلافات والمشاكل وتحاشي الصدام مع الاخرين من الاسباب التي جعلت رجال «النظام الخاص» يختارونه مرشداً ليكون واجهة امام الاعضاء والحكومة والاطراف التي يتعامل معها «الإخوان»، فيما كانوا يسيطرون على التنظيم، ويكرسون هيمنتهم استغل التلمساني مناخ الحرية في الاتصال بالقوى السياسية الاخرى واتاح سماح الحكومة بعودة مجلة «الدعوة» الى الصدور تحسين صورة «الجماعة» ووصول خطابها الاعلامي الى انحاء متفرقة.

غير ان المتغير المهم الذي اثر في نشاط «الإخوان» في تلك المرحلة هو تلك الجهود التي بذلها التلمساني وغيره من اقطاب التنظيم في اقناع رموز الحركة الطلابية من الاسلاميين في الانضمام الى الجماعة، وكانت المنافسة بين «الاخوان» من جهة واتباع سيد قطب من اصحاب فكرة «الجهاد» من جهة أخرى، على اشدها للفوز بضم هؤلاء، وفيما تاسست «الجماعة الاسلامية» من عدد من هؤلاء وكان غالبيتهم من الصعيد ومن بينهم كرم زهدي وناجح ابراهيم وصلاح هاشم وعاصم عبدالماجد، فإن محمد عبدالسلام فرج مؤسس تنظيم الجهاد فاز بعدد آخر من بينهم صالح جاهين وعباس شنن وايمن الظواهري.

أما «الاخوان» فانضم اليهم غالبية قادة الحركة الطلابية وعلى رأسهم عصام العريان وعبدالمنعم ابو الفتوح وابو العلا ماضي وحلمي الجزار، وتسبب دخول هؤلاء الى قلب الجماعة في انضمام الاف من الطلاب، أو بمعنى ادق جيل كامل صار من «الإخوان» ثقة منهم في أن العريان وابو الفتوح وماضي لا يمكن ان يختاروا الخطأ.

وعلى رغم الوئام بين «الإخوان» والسادات الا ان التيار الجارف ضد زيارة السادات لاسرائيل واتفاق كامب ديفيد ثم استضافة السادات شاه إيران والذي لعب الاسلاميون في الجامعات الدور الاكبر في تاجيجه وسير «الإخوان» في الاتجاه نفسه من خلال تصريحات التلمساني وآرائه وكذلك في الهجوم الشديد لمجلة «الدعوة»د على الزيارة والاتفاق والتحذير من مغبة التطبيع جعل العلاقة بين «الإخوان» والسادات تسير في اتجاه معاكس لما كانت عليه قبلها خصوصاً بعدما بدأ بعض الاسلاميين من «الجهاد» و«الجماعة الاسلامية» تحركات تنذر بان العنف قادم من الجامعات، واوساط الشباب في بعض النقابات المهنية والعمالية.

ووفقاً لدراسة اعدها الدكتور فاروق ابو زيد فإن السادات لم يكتف بالافراج عن المعتقلين من «الاخوان المسلمين» بل سمح لهم بقدر كبير من حرية الحركة، خصوصاً في مجال الاعلام، فوافق على إعادة صدور صحيفة «الدعوة» لسان حال الجماعة، واعاد بعض الاخوان الى اعمالهم السابقة في الصحف واجهزة الاعلام واحتل بعضهم مواقع مؤثرة في هذه الاجهزة، ولعل من مظاهر ذلك ان وصل اثنان من القادة السابقين للجماعة الى منصب الوزارة وهما الدكتور

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

عبدالعزيز كامل الذي تولى وزارة الاوقاف (اصبح نائباً لرئيس الوزراء)، وهي الوزارة التي تشرف بشكل مباشر أو غير مباشر على جميع المساجد في مصر واهم وسيلة للاتصال والاعلام المباشر على الاطلاق في كل الدول الاسلامية، كذلك تولى الدكتور احمد كمال ابو المجد وزارة الاعلام، وهي الوزارة المسؤولة مباشرة عن كل الشبكات الاذاعية والخدمات التلفزيونية بالاضافة الى مصلحة الاستعلامات فضلا عن تاثيرها المعنوي في الصحف والصحافيين.

المعتدلون والمتشددون

كان السادات يعتقد أن في امكانه دائماً السيطرة على حركة هذا التيار خصوصاً ان الكثيرين من رموزه قبلوا التعامل مع السلطة والتعاون معها، بل وصار بعضهم جزءاً منها، ففي ذلك الوقت لم يكن برز على التمايز الواضح بين تيار متطرف وتيار آخر معتدل داخل الحركة الاسلامية، في مصر، إذ ظل هذا التمايز او الانقسام محصوراً في نطاق ضيق وداخل الحركة الاسلامية وكان هناك حرص شديد من جانب «الاخوان المسلمين» وبقية التيار الاسلامي المعتدل على عدم اخراج الخلاف مع المتشددين الى العلن خوفاً من انقسام الحركة الاسلامية وتشتت جهودها مع بداية نشاطها في السبعينات، وإن لم يكن لدى المتشددين هذا الحرص نفسه.

اعتبر أبو زيد ان اللغة التي سادت في عهد السادات كانت معادية لأفكار التقدم والتنوير ولاحظ زيادة مساحة البرامج الدينية في الراديو والتلفزيون وتخصيص صفحات للشؤون الدينية في الصحف او المجلات القومية والمغالاة في الاحتفال بالمناسبات الدينية وتحويلها الى مناسبات قومية، وشكل ذلك كله ما يمكن ان يطلق عليه «البنية الاساسية» التي استغلها الجناح المتشدد في بناء هيكله التنظيمي واختيار عناصره وكوادره، كما انها مهدت الطريق لانتشار الافكار المتطرفة في سهولة ويسر.

ورصد ابو زيد تطور مساحة البرامج الدينية في المحطات الاذاعية المحلية في حقبتي السبعينات والثمانينات، ليوضح خطورة اقامة البنية الاساسية، التي استغلها المتشددون في نشر افكارهم المتطرفة وفي بناء هيكلهم التنظيمي، اذ كانت نسبة البرامج الدينية في الاذاعات المصرية ١٥,٢٥ في المئة من اجمالي الارسال الاذاعي عام ١٩٧٠/٦٩ واخذت هذه النسبة في التزايد عاماً بعد آخر في ظل حكم السادات لتصل الى ٢٠,١٢ في المئة عام ١٩٨١/١٩٨٠ اي أن البرامج الدينية في الاذاعة المصرية بلغت اكثر من خُمس ساعات الارسال قبل مقتل السادات بقليل،

وإلى جانب هذه البرامج الدينية كانت الاذاعة تقدم أيضا مواد دينية اخرى في أشكال اذاعية متنوعة كالتمثيليات والمسلسلات والاغاني والندوات والبرامج الحوارية والبرامج الثقافية والبرامج الاخبارية والسياسية، وهذه من الصعب حصر عددها او نسبة المادة الدينية فيها، وهو ما يعني ان نسبة (الخُمس) ليست سوى الحد الادنى وأن النسبة الحقيقية للبرامج والمادة الدينية في الاذاعة كانت اكبر من ذلك بكثير، وهذه النسبة ايضاً لا تدخل فيها ما تقدمه الاذاعات المصرية من برامج ومواد دينية خارجية، ويقصد بها شعائر صلاة الجمعة التي يتم نقلها كل اسبوع من احد مساجد العاصمة أو من المدن والقرى المصرية، وتنقل في بعض المناسبات من مدن عربية اخرى.

هذه الشعائر لم تكن تزيد عدد ساعات ارسالها عام ١٩٧١/٧٠ على ٣٤٢ ساعة و٦ دقائق فإذا بها عام ١٩٨٠/١٩٧٩ تقفز الى ٢٠٣١ ساعة و١٢ دقيقة.

لم تزد نسبة البرامج الدينية في التلفزيون عام ١٩٦٣ على ٢,٣ في المئة من مجموع ساعات البث التلفزيوني، ولكن هذه النسبة ارتفعت الى اربعة امثالها عام ١٩٧٣ لتصل الى ٨,٩٧ في المئة ثم تزيد الى ٩,٥٤ في المئة عام ١٩٨٠، وهذه النسب لا تكفي وحدها لاظهار مدى الزيادة في البرامج الدينية لانها محكومة بزيادة ساعات البث، ويتضح ذلك عندما نعرف أن عدد ساعات البث التلفزيوني للبرامج الدينية بلغ عام ١٩٧٣ حوالي ٥٢٧ ساعة و٤٩ دقيقة، ارتفع في عام ١٩٨١/٨٠ الى ٧٥٢ ساعة و١٩ دقيقة.

لم يقتصر عمل الرئيس السادات الى تصفية التيار الناصري واليساري على الجامعات والنقابات العمالية والمهنية، بل امتد ايضا الى الصحافة، فالغى مجلتي «الطليعة اليسارية» و«الكاتب» الناصرية، ومنع كثير من الكُتاب الناصريين واليساريين من الكتابة في الصحف القومية، وبالتوازي مع هذه المحاولات اخذ في تشجيع صحف التيار الديني لكي تناصره في مهمته لتصفية الفكر الناصري واليساري، فسمح عام ١٩٧٦ لـ«الاخوان» باعادة اصدار مجلة «الدعوة»، وهي مجلة صدرت في البداية في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٥١، اي قبل ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ وكان صاحب امتيازها صالح عشماوي احد قيادات جماعة «الاخوان المسلمين»، واستمرت في الصدور بعد ثورة تموز بسبب انشقاق صاحب المجلة عن «الاخوان» وتم فصله من الجماعة نهاية ١٩٥٣ وفي ١٩٥٦ اخذت احوال المجلة في التدهور، وبعدما كانت اسبوعية تحولت الى شهرية، وكثيراً ما كانت تتوقف، وظلت على هذه الحال حتى خرج الاخوان من السجون والمعتقلات في اوائل السبعينات، وفي ١٩٧٦ عادت الى الصدور في ثوب جديد، واصبحت تصدر شهرياً على امل ان تسمح الظروف بتحويلها الى اسبوعية.

وشجع السادات إصدار مجلة «التصوف الاسلامي» عام ١٩٧٩ وخصها بمقال افتتاحي في عددها الاول. كما ارسل خطاباً الى الشيخ محمد محمود سطوحي رئيس مجلس ادارة المجلة نشرته في العدد التالي عبر فيه عن تقديره للجهد الذي بذل في تحرير المجلة، كما أكد «أن صدور مجلة التصوف الاسلامي في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ نضالنا

إثراء المعارف الرقمية
www.ethraadl.com

القومي، يسد فراغا ثقافيا ويمدنا بغذاء روحي ونحن نبني مجتمعنا الجديد على دعائم قوية الاركان من العلم والايمان».

وشجع السادات ايضاً اعادة اصدار صحف التيار الاسلامي غير الرسمية ومنها مجلة «الاعتصام» التي بدت بالصدور عام ١٩٣٩ عن الجمعية الشرعية، وظلت المجلة تصدر حتى قيام ثورة ٢٣ تموز (يوليو). وبعدها اخذت تتعثر في الصدور.

وفي عصر السادات حدث تطور جذري في شخصية المجلة شكلاً ومضموناً فزاد عدد صفحاتها وبدأت تنتظم في الصدور، ثم ادخلت الطباعة الاوفست والالوان.

ولعب الكتاب دوراً مهماً في نشر ظاهرة التطرف في مصر، ويتصل بذلك ما اشارت اليه الاقوال المسجلة لاعداد غير قليلة من المتشددين الدينيين الذين شاركوا لاحقاً في عمليات عنف وذكروا انهم لم يجدوا صعوبة في الحصول على الكتب الدينية التي تتماشى مع افكارهم او تخدمها على المدى الطويل، على رغم أن بعضها قد لا يكون بالضرورة مماثلاً لافكارهم، كما لوحظ ان اقبال المتشددين تركز على مؤلفات ابو الأعلى المودودي وابن تيمية وسيد قطب.

وشهدت سوق الكتب في مصر خلال السبعينات طوفاناً من المؤلفات الدينية التي شكلت ما يشبه البنية الاساسية للافكار المتطرفة التي صاغها بعض قادة الجماعات المتشددة في مؤلفاتهم الخاصة، وكان الكثير من هذه الكتب يطبع في مصر وبعضها ياتي من الخارج، اما المؤلفات التي لم يكن مسموحاً بطبعها في الداخل او استيرادها من الخارج فقد تولت الجماعات المتشددة طبعها وتوزيعها سراً في بعض الاحيان وعلنا في اكثر الاحيان، وعلى سبيل المثال فإن كتاب «معالم على الطريق» لسيد قطب طبعه طلاب كلية الهندسة في جامعة المنيا في اوراق متفرقة، ثم جمعوها بعد ذلك في كتاب واعيد طبع الكتاب في دمشق ثم بيروت، وعن طريقهما وصل الى القاهرة، ثم طبع بعد ذلك في القاهرة من دون اعتراض.

ومنذ منتصف السبعينات بدأ عدد من دور النشر المصرية ترجمة ونشر معظم مؤلفات ابو الاعلى المودودي، فنشرت له «دار المختار الاسلامي» كتب: «الحكومة الاسلامية» و«الاسلام والمدنية الحديثة» و«الذبائح»، ونشرت له «دار الانصار» كتب: «مبادئ الاسلام» و«تذكرة دعاة الاسلام» و«دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الاسلامي»، ونشرت له «دار الاعتصام» كتب: «الجهاد في سبيل الله» و«تفسير سورة النور»، ونشرت له «دار التراث» كتب: «الاسلام اليوم» و«الحجاب».

وإذا كان المتشددون اعتمدوا في البداية على كتابات ابن تيمية والمودودي وسيد قطب وبعض اقطاب «الاخوان المسلمين» إلا انهم سرعان ما بدأوا في صياغة افكارهم الخاصة، وظهرت على التوالي مجموعة من المؤلفات لاقطاب الجماعات المتشددة، واتخذت معظم هذه المؤلفات شكل «الرسائل» و«الكتيبات» طبع بعضها ونسخ بعضها الآخر بخط اليد او صورت بالمئات، وبدأ الاعتماد عليها بشكل اساسي في الدعوة.

ولشكري مصطفى عدد من المؤلفات او «الرسائل» التي تعرض فكر جماعته واهمها كتاب «الخلافة» ويتكون من ستة اجزاء، كتب كل جزء منها في كراسة مستقلة، كذلك شارك بعض قادة جماعة «التكفير والهجرة» في وضع عدد من المؤلفات مثل «كتاب الاسماء» وكتب «الشرك» و«التبيين» و«مغفرة الصغائر» و«الاصرار على الذنوب» و«التاويلات والتوسمات» وغيرها.

هذه الكتب او الرسائل لم يكن يسمح بتوزيع بعضها على عامة المسلمين، وانما تقتصر على الخاصة من اعضاء التنظيم، يدرسها دعاة التنظيم للاعضاء، ثم تعمم على عامة المسلمين بالتلقين شفاهة.

لكن كل ذلك لم يكن ليطمئن الاسلاميين في مختلف توجهاتهم، وظلوا على اقتناع بأن السادات يستخدمهم والدولة تطبق اجراءات شكلية من دون الاهتمام بجوهر القضية الاسلامية.

وسادت فترة اضطرابات منذ ١٩٧٨ حتى نهاية حكم السادات عام ١٩٨١ فزاد انتشار الجماعات الاسلامية وبدأت في السيطرة على اتحادات الطلاب وبعض النقابات المهنية، وشرعت حركة الاسلاميين باكملها وبمختلف اتجاهاتها تنتقد «السلام المخزي مع اليهود» بعنف.

وفي ١٩٧٩، وبعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد في آذار (مارس) هاجم السادات في زياراته المحافظات حركة الاسلاميين، وفي حزيران (يونيو) اعادت السلطات تشكيل اتحاد الطلاب لانهاء سيطرتهم عليه، وفي ١٩٨٠ وقعت احداث عنف بين الاقباط والجماعات والاسلاميين المتشددين في اسيوط. وفي ١٩٨١ حصلت في حزيران (يونيو) احداث الزاوية الحمراء ووقعت معركة طائفية، فساد التوتر المناخ السياسي ما دعا الرئيس السادات الى وقف النشاط

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

السياسي بقرارات ايلول (سبتمبر) الشهيرة ومنها حظر نشاط الجماعات الاسلامية ومصادرة صحفهم واعتقال ١٥٣٦ من المعارضين من كل الاتجاهات السياسية، كما اعتقل الشيخ عبدالحميد كشك الداعية الاسلامي الشهير وعزل الانبا شنودة بطريرك الاقباط واوقف صحف المعارضة.

وفي ٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨١ جاء دور التحالف الذي كان ابرم بين «الجماعة الإسلامية» و«تنظيم الجهاد» حين اغتال أعضاء التنظيم (حسين عباس، وعطا طايل، وعبدالحميد عبدالسلام، بزعامة الضابط خالد الاسلامبولي) السادات خلال العرض العسكري والقي القبض عليهم واعدموا ومعهم منظرهم محمد عبدالسلام فرج. وعقب الحادث في ٨ تشرين الاول (اكتوبر) هاجمت عناصر من التنظيم مديرية الامن في اسيوط وارتكبوا مذبحة كبيرة إلا انهم فشلوا في السيطرة على المدينة.

أما «الإخوان» الذين كان عدد غير قليل من عناصرهم سافروا بالفعل إلى أفغانستان بناء على اتفاق التلمساني مع السادات، فانزعجوا من المعاملة التي تعرض لها احد قادتهم هو كمال السنانيري في السجن حين اعتقل بناء على قرارات السادات وتعرض لتعذيب شديد أدى إلى وفاته، وردد بعضهم أن السنانيري كان مهندس نشاط «الإخوان» في بيشاور وأن ما جرى معه كان نتيجة تجاوزه الخطوط الحمر التي وضعها السادات وتعهد التلمساني بعدم تجاوزها. لكن الواقعة ظلت محطة مهمة في رحلة «الأفغان العرب».

غداً:

بيشاور مدينة تستقطب الجميع

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية